اليسار العربيّ:
الأزمة والاقتراحات (٢)

يسار قديم، يسار جديد!

□ ميشيل كيلو

ملاحظتان

سأبدأ بملاحظتين أعبّر من خلالهما عن سعادتي.

أولاهما، تراجعُ الحديث عن اليسار واليمين، بعد أن طغى على حقبةٍ امتدّت قرابة نصف قرن، اقترن اليسارُ فيها بأحسن الصفات، واعتُبر اليمينُ سبّة وشتيمة. ومع أنّ تعريف «اليسار» كان غائمًا بين الثلاثينيّات ونهاية التسعينيّات من القرن الماضي، فإنّ المنتسبين إليه رأوا في أنفسهم حمَلةَ هموم عامّةٍ تتّسم بالصدق والنزاهة: فهم خدمُ الشعب والوطن الذين يعملون لقضيّةٍ نبيلة، يضحّون في سبيلها بالغالي والرخيص، من دون أن تكون لهم مآربُ أو مصالحُ شخصيّة. غير أنّ هذه الصورة الدعائيّة تناقضتْ مع ممارساتِ قوًى اعتُبرت يساريّة، إذ ما إن استلمتِ السلطةَ حتى اتّضح أنّ مراميها العمليّة لا تمتّ بصلةٍ إلى مزاعمها. وزاد من وقع الفضيحة قيامُها بإعادة إنتاج أوضاع «يمينيّةٍ» إلى أبعد حدّ، كانت قد تعهّدتْ بأن تقضي عليها حين تستولي على السلطة، فإذا بها تجدِّدها بقوةِ هذه السلطة وأجهزتِها. هذه الهوّة بين الخطاب والواقع أظهرتْ كم كان اليسار هشًا ويمينيًا ومخادعًا.

غير أنّ تلاشي اليسار لم يردَّ الاعتبارَ إلى اليمين العربيّ التقليديّ/النفطيّ. ويعود ذلك إلى أنّ الأخير كان مكروهًا ومرفوضًا قبل صعود اليسار وبعد فشله، وأنّ الأحوال اليمينيّة التي أقامتها الأحزابُ والنظمُ اليساريّة أكّدت تبلورَ يمينٍ جديدٍ أكثر فاعليّةً وقدرةً على ضبط الشارع والتحكّم بالتطوّر. ولذلك بدأ اليمينُ التقليديّ يتعلّم من «اليسار» ويتماثل معه. ومع رواج فكرةٍ ظهرتْ في أواخر السبعينيّات، وأكّدتْ وجودَ نظام عربيّ واحدٍ بمسمَّياتٍ مختلفة، تلاشى أكثرَ فأكثرَ تقسيمُ الأوضاع والحكومات العربيّة إلى يسارٍ ويمين، وتراجَعَ هذا التفريقُ داخل كلّ بلدٍ تحت وطأة سياسات «اليسار.»

ثانيتهما، أننا تجاوزنا مرحلةً كنا لا نكترث خلالها بالوقائع والحقائق، بل نسارع إلى استخلاص هويّتها من مواقف الأشخاص والأحزاب والدول منها: فإنْ كان أصحابُها من أهل اليسار أو أحزابِه أو دولِه، اعتبرناها صحيحةً وتتفق مع حركة التاريخ وحقائقه، أيْ تقدميّةً؛ أما إنْ كان وراءها يمينيّون، فكنّا نسارع إلى اعتبارها باطلاً صرفًا، وقلنا إنها رجعيّة لتعارضها مع حركة التاريخ، الصاعدةِ نحو الأحسن والأرقى. عندما كنا نسمع نبأً، لم نكن نسأل إنْ كان صائبًا أمْ خاطئًا، لأنّ الصواب والخطأ لا يوجدان بذاتهما بل بهويّتهما السياسيّة.

ولكنْ، هل أبقى هذا الضربُ من الفهم مكانًا للحقيقة ، إذا كان من المحال أن تصدر إلاّ عن اليسار؟ وهل بقيتْ حاجةٌ إلى حقيقةٍ لا تقبل خدمةَ أغراض اليسار وسياساته وأحزابه وبرامجه؟ وما قيمة الماركسيّة، وهي النظريّة التي يُزعم أنها تضمّنت الحقيقةَ كاملةً، إنْ كانت لا تمدّ أهلَ اليسار بحججٍ تبرِّر سلوكَهم وتعزِّز إيمانَهم بأنهم على صوابٍ في كلّ ما يقولون ويفعلون؟

تصنيفات اليسار

بهذا العقل اللاعقلانيّ، تمّ تقسيمُ العالم إلى فسطاطيْن: يسار يضمّ أهلَ الحقّ والخير والجمال، ويمين فيه أهلُ الباطل والشرّ والقبح، وبينهما برزخٌ، فهما لا يلتقيان. حدث هذا قبل فسطاطيْ بن لادن وجورج بوش بأكثر من خمسين عامًا. ولمّا لم يتفق اليسارُ على تعريف اليساريّ واليسار، فقد بقي المفهومُ غائمًا، وتنوَّعَ بتنوّع الجهات المسمّاة يساريّةً، ثم تمّ مسخُه شيئًا فشيئًا، وتحوّل إلى ادّعاءٍ تبسيطيّ/تضليليّ، فبات: مجموعَ الأحزاب والمنظّمات والشخصيّات الداعية إلى تغيير الأمر القائم، والعاملةِ على استبداله بنظامٍ يتخطّى الرأسماليّةَ القائمةَ في البلدان الغربيّة، الإمبرياليّة، التي اعتُبرتْ أسوأَ نظامٍ يمكن تخيّلهُ.

هكذا فَهِم اليسارُ نفسَه، على الجملة، من دون أن ترى أطرافُه المختلفةُ فيه كتلةً واحدةً أو نسيجًا متجانسًا. فعلى الرغم من عموميّة الفهم، فقد كان كلُّ تكوينٍ يساريّ يتبنّى تصنيفاتٍ خاصةً يقوِّم من خلالها بقيّةَ فصائل اليسار:

ـ فهناك يسارٌ «خطيرٌ ومزيّف،» مثّلَتْه الأحزابُ القوميّة، ولاسيّما حزبُ البعث، الذي اعتُبر برجوازيًا صغيرًا يمينيًا ومعاديًا للشيوعيّة حتى مطالع الستينيّات من القرن المنصرم. ثم تغيّر تصنيفُه «العلميّ» بعد قانون الإصلاح الزراعيّ وتأميمات ١٩٦٥ عامةً وانقلابِ ٢٣ شباط خاصةً ، فصار نظامُه «ديموقراطيًا/ثوريًا،» ولم يبقَ فيه من عيبٍ غير انضواء عناصرَ وبؤرٍ يساريّةٍ «متطرّفة» في صفوفه. وهذه العناصر، بحسب هذا التصنيف، تعمل على إبعاد البعث عن السوفييت، وعلى شحنه بروحٍ برجوازيّةٍ صغيرةٍ «مغامرة»

تعبِّر عن نفسها بالإعجاب بحركات الكفاح المسلّح في ڤيتنام وأميركا اللاتينيّة، وتتبنّى سياساتٍ وطنيّةً وقوميّةً لا تحظى بموافقة الرفاق الكبار في موسكو، فترفض أولويّة الحلّ السلميّ للصراع مع إسرائيل وتدعو إلى الحرب الشعبيّة، بينما يسلّح بعضُها العمّالَ ويعمل على قلب البلد على رأس البرجوازيّة، متوهّمًا أنّ للداخل أولويّةً على ما عداه وأنّ الردّ على الإمبرياليّة والصهيونيّة يجب أن ينطلق من شرطٍ طبقيّ ثوريّ داخليّ.

ـ وهناك «نصفُ يسار،» تُمثّله أحزابٌ وسلطاتٌ برجوازيّة صغيرة مؤثّرة، كالناصريّة في مصر، التي أقامت منذ مرحلةٍ مبكّرةٍ صلاتٍ مع السوڤييت، لكنها رفضت الاشتراكيّة (أي الشيوعيّة)، وضمّت قوًى «يمينيّةً أو رجعيّةً.» بعد حين، تحسّنتْ مرتبةُ الناصريّة، هي الأخرى، في هذا التصنيف اليساريّ، وقيل إنها تنتهج دربًا اشتراكيًا ـ غير سوڤييتيّ ـ معاديًا للغرب، يضاف إلى صداقتها مع السوڤييت؛ فهي لذلك تستحقّ أن تُنقل من خانة النظام الديموقراطيّ/الثوريّ البرجوازيّ الصغير إلى خانة «نظامٍ لارأسماليّ» يقوده أنصافُ عمّال وفلاحين، يقطع صلاتِه بالرأسماليّة، وإنْ لم يبلغْ بعدُ مرحلةَ بناء الاشتراكيّة كتشكيلةٍ كاملة، ويقلّص المسافةَ بينه وبينها حتى صارت أقصرَ من المسافة التي تفصله عن الرأسماليّة. هنا، أيضًا، يبقى خطرُ «التراجع» قائمًا لكون السلطة الناصريّة، ودائمًا بحسب هذا التصنيف، «لم تحسمْ هويّتها الطبقيّة» ولم «تطهّرْ» صفوفَها من اليمينيين.

ـ إلى هذا، هناك يسارٌ شيوعيٌّ «عميل،» يجسّده أتباعُ تروتسكي وتيتو، وفي مرحلةٍ لاحقة، ماو تسي تونج، الذين تبنّوا سياساتٍ «إمبرياليّة» حيال السوڤييت، فصاروا «عملاءَ موضوعيين» للرأسماليّة، وإنْ زعموا «كاذبين» الولاءَ للشيوعيّة.

ـ وهناك أخيرًا يسارٌ «قومجيّ،» وآخر «برجوازيّ وطنيّ،» وثالث «عمّالويّ،» ورابع «فقراويّ.»

لا تعني هذه التصنيفات أنّ الأحزاب الشيوعيّة انفردتْ بمنح الألقاب اليساريّة ونصف اليساريّة وربع اليساريّة، أو أنها أنجزتْها بناءً على دراساتٍ وأبحاثٍ ميدانيّةٍ تعرّفتْ عبرها إلى طبيعة الأحزاب المدروسة وبنيتها، ووضعتْ توصيفاتٍ لها تتلمّس حقيقتَها ودورَها. لم يكن هناك شيءٌ من هذا، ولم يقم أحدٌ بدراساتٍ وأبحاث، بل انطلقت الجهةُ التي أجرت التصنيفات، أي الأحزابُ الشيوعيّة، من مسلّمةٍ جعلتها تحتكر تمثيلَ اليسار المحض، الذي لا تشوبه شائبةٌ، وتقيس الأحزابَ والأشخاصَ والأفكارَ والبرامجَ بمسطرتها الخاصّة، فتمنحها تصنيفاتٍ تغيّرتْ من يوم إلى آخر، صعودًا أو نزولاً، نحو اليسار أو اليمين، بحسب مقتضيات التكتيك السياسيّ.

ولم تقصّر الأحزابُ القوميّةُ بدورها في إجراء التصنيف. فقد اعتبرتْ نفسَها يساريّةً مائة بالمائة، فضلاً عن أنها تضمّ عربًا من عِرقٍ بدويّ صافٍ، على عكس الأحزاب الشيوعيّة التي تمثّل «اختراقًا خارجيًا» (سوڤييتيًا) لمجتمعاتنا، لا بدّ من كشفه، وهو ما يفضحه تركيبُها البشريّ المكوَّنُ من عناصرَ وفئاتٍ أقلويّةٍ «يستحيل» أن تكون يساريّة أو تقدميّة أو قوميّة. وكيف تكون أصلاً يساريّة إذا كانت تتبنّى الأمميّة، وتعادي الوحدةَ العربية، شأنها في ذلك شأن القوى والأحزاب اليمينيّة، الرجعيّة والانفصاليّة؟! لكنْ بعد أعوام قليلة من انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣، غيّر البعثُ نظرته بسبب تعاظم اعتماده على الدعم السوڤييتيّ، وبسبب إقدامه على تأميمات عام ١٩٦٥ التي نَقلتْ ملكيّةَ معظم وسائل الإنتاج إلى الدولة على الطريقة الستالينيّة، وبسبب تحالفه مع الشيوعيين. وبدءًا من تلك المرحلة، اعتمد البعثُ معيارًا مختلفًا حدّد بواسطته اليسارَ، قرينتُه الرئيسةُ هي القربُ من سلطته أو البعدُ عنها: فالقريبُ منها يساريّ يبلغ ذروة اليساريّة إن انضمّ إلى الحزب القائد، والبعيدُ يمينيّ ورجعيّ وعميل. على أنّ هذه التصنيفات لم تكن ثابتة أو مدروسة أو دائمة هي الأخرى.

كيف تمّ تحديدُ اليسار؟

اختلف الأمرُ هنا باختلاف الأحزاب والتيّارات. غير أنّ المواقف تقاربتْ تدريجيًا منذ أواسط الستينيّات: فصار يساريًا كلُّ من يعمل على قلب النظام القائم في بلده باتجاه نظامٍ يتخطّى الرأسماليّة الغربيّة، وكلُّ من هو قريبٌ من السوڤييت، وكلُّ مَن يرى في اليسار تماثلاً بين الذاتيّ والموضوعيّ، وكلُّ من يعتقد أنّ اليسار لا يغلط لأنه يسار.

غير أنّ اليسار أقرّ بوجود تعقيداتٍ تمليها حركةُ الواقع، ومن الضروريّ ملاقاتُها بموقفٍ مرنٍ يتيح له تغييرَ مواقفه بعضه من بعض، ومن الحقيقة. بهذه المرونة، كان اليسارُ يقول، كلّما وقعتْ أخطاء: نحن لم نغلط، وإنْ لم نلتقطْ جميعَ أوجه الواقع والحقيقة؛ ذلك لأنّ الواقع «ماكر» لا يُفصح عن نفسه دفعةً واحدة.

إلى ما سبق، آمن اليسارُ بحتميّةٍ يسوق التاريخُ، من خلالها، الواقعَ إلى حيث يتوقع اليسارُ بدقّةٍ وموضوعيّة؛ ذلك أنّ التاريخ تسيّره قوانينُ يعرفها اليساريون معرفةً كاملة، وهي تمنعهم من انتهاج سبلٍ مغايرةٍ لسير الواقع، وتمكّنهم من التدخّل لتسهيل تحقّقها في الوقت المناسب. فاليسار هو قوةُ التاريخ الذاتيّة، التي لا تستطيع مخالفة قوانينه وإنْ أرادت ذلك.

إلى هذا، فإنّ اليسار ثوريّ بـ «فطرته.» إنه يعرف «مصلحةَ الشعب» كما لا يعرفها سواه، ويخدمها كما لا يخدمها غيرُه، لسببٍ جليّ، هو أنه يمثّل الشعبَ إلى حدّ التماثل التامّ معه.

آخرُ معايير اليسار أنه صلبٌ لا يلين، ثابتٌ على المبدإ، مرنٌ في تطبيقه، تقول قناعاتُه إنّ الاشتراكيّة تجبّ ما قبلها، وإنّ الماركسيّة تلخّص وتكثّف خيرَ ما في

الفكر البشريّ من مفاهيمَ وأفكارٍ ومكتشفات. فلا يمْكن اليساريَّ أن يبقى يساريًا إنْ فكّر، ولو مجرّد تفكير، بقبول نظام ما قبل اشتراكيّ. ويستحيل أن يظلّ الماركسيُّ ماركسيًا إنْ شكّ في كون ماركسيّته كلمةَ البشريّة والعلم والتقدّم الأخيرة، أو تجاهَلَ النقصَ في مسائل الفكر السابق لها، أو أحجم عن التنصّل منه. في الوقت نفسه، يؤمن اليسار أنّ المستقبل سيكون خيرًا من الحاضر والماضي، لأنّ الاشتراكيّة أحسنُ نظامٍ يمكن أن يبلغه الوجود. ويزيد من حسنها أنها تتطوّر بآليّاتها الذاتيّة وإرادة البشر الثوريّة إلى الشيوعيّة (أو القوميّة/الاشتراكيّة بالنسبة إلى القوميين): إنها جنّة الإنسان التي يصنعها بيديه، لتجسّم سعادتَه وتحرّره من نظم الحاجات.

ماذا بقي من هذا اليسار ومعاييره؟

غاب السوفييت. وغاب الإيمانُ المطلقُ بصحّة سياسات اليسار، وبالحتميّات التاريخيّة، وبقدرة القوانين الموضوعيّة على تعيين مسارات الواقع تعيينًا مباشرًا بغضّ النظر عن أيّ توسّطٍ إنسانيّ. وغاب الإيمانُ بأنّ الاشتراكية تطوي، على صعيدَي الفكر والواقع، صفحةَ التطوّر السابق لها، بتجاوزه أو بإدراجه في منظومتها. وغاب القسمُ الأكبرُ من اليسار الدوليّ والمحلّيّ، وتغيّرتْ معاييرُ السياسة ذاتها، ومعها تغيّر مفهومُ «اليساريّة» الذي كان نتاجَ ظرفٍ تاريخيّ مات بموته، وصار من الضروريّ إعادةُ تلمّس معناه في الحاضنة السياسيّة والفكريّة الراهنة.

وهذه الحاضنة قامت مع انهيار السوفييت واشتراكيّتهم، ومع تلاشي ما عُرف بحركات التحرر الوطنيّ والقوميّ، وتراجُع دور دولها ومجتمعاتها. كما انتقلت الرأسماليّة إلى حقبةٍ تصعب السيطرةُ علَيها اقتصاديًا وسياسيًا، إذ نشرتْ أزمتَها على مستوى عالميّ حتى صارت تتطلّب حلولاً يجب أن تشاركَ فيها البشريّةُ جمعاء. ولا ريب أنْ تبرز مقارباتٌ مختلفةٌ للمسألة الاجتماعيّة وتوزيع الدخل، على المستوى الكونيّ وضمن البلدان الرأسماليّة المتقدّمة، نتيجةً لتخلّق حاملٍ سياسيّ/مجتمعيّ جديد، يتخطّى أيّة طبقةٍ اجتماعيّة، وله مصلحةٌ وجوديّةٌ في توسيع النضال من أجل أنسنة الحياة ودفعِها إلى مرحلةٍ تتخطّى الليبراليّة المتوحّشة. وضمن هذه المقاربات رؤيةٌ جديدةٌ للفكرة الاشتراكيّة، تعيد إليها هويّتَها كمسعًى يهدف إلى تحقيق أعظم قدرٍ ممكنٍ من العدالة الاجتماعيّة، من دون أن تربط تحقيقَ ذلك بثورةٍ عنيفةٍ تقضي على النظام الرأسماليّ. كما أنّ هذه الرؤية ترفض أن تجعل من الماركسيّة الكلمةَ التي ستَفشل الإنسانيّةُ في قول أيّ شيءٍ بعدها، بل ترى فيها مشروعًا عمل على مقاربة سبلِ تحرّرِ الإنسان كذاتٍ حرّةٍ وعاملة، وقدّم فرضيّاتٍ واقتراحاتٍ تتسم بدرجةٍ عاليةٍ من النضج والتماسك والقدرة على تغيير الواقع، بإرادة البشر ووعيهم.

ومن الطبيعيّ أن إعادة إنتاج الماركسيّة لن تكتفي بإعادة قراءتها في ذاتها، وإنما ستثريها برؤًى جديدة، بلورها عصرُنا، تتضمّن فرضيّاتٍ وقراءاتٍ خاصةً

بالثورة العلميّة والتقنيّة وبالتطوّرات الفكريّة التي وقعتْ في الماضي القريب. وترجِّح قرائنُ كثيرةٌ أن يتعيّن واقعُ العالم من الآن فصاعدًا بمفاعيل تلك الثورة وهذه التطورات وآثارها، وبطرقٍ أشدّ عمقًا وتنوّعًا من الطرق التي أتت بها الثورةُ الصناعيّةُ خلال القرون السابقة.

ما هو اليسار في ظرفنا الجديد؟

قبل الردّ على هذا السؤال، أودّ التأكيد على استحالة إعادة إنتاج اليسار القديم وأحزابه - سواءٌ التي ماتت وانتهى أمرُها، أو التي تعاني سكراتِ الموت وفقدتْ شرعيّتَها ومصداقيّتها وتاليًا دورَها (رغم أنّ سلطتها تجعلها تبدو بصحّةٍ جيدة). لا يجوز أن يبدِّد أحدٌ وقته في إحياء الموتى، مهما كانت أسماؤهم. ومن الضروريّ الانصرافُ إلى المهامّ المعقّدة، والمتشعّبة، والجديدة في جوانب عديدة، التي تريد إعادةَ إنتاج اليسار من خلال إعادة إنتاج السياسة بوصفها فاعليّةً مجتمعيّةً - إنسانيّةً مباشرةً وملموسةً، ترى العالمَ مجالاً واحدًا، مع أنها تُقرّ بتنوعه وبتباين تطوّره، وتستند إلى رؤًى ثقافيّةٍ غير إيديولوجيّة، وإلى معارفَ علميّةٍ ذاتِ أبعادٍ عمليّة، حواملُها: الإنسانُ بوصفه ذاتًا تتعيّن بالحريّة، والمجتمعُ المدنيّ بما هو مجتمعُ مواطنين أحرار ومنتِجين تتكامل في ساحته وتتفاعل المواطنةُ وحقوقُ الإنسان وسيادةُ القانون والدولةُ المدنيّة والسيادةُ الشعبيّة والعلمانيّةُ والديموقراطيّةُ (أو ما أسماه ماركس «المدنيّة البرجوازيّة») مع العدالة والمساواة ومركزيّةِ الإنسان ودوره في الشأن العامّ (أو ما أسماه «المدنيّة التشاركيّة أو الإنسانيّة»). فلا يكون شرطَ تحقيق الثانية تجاوزُ الأولى، بل تحقيقُها بأكثر الصور واقعيّةً وجذريّةً؛ ولا تحتجزها الأولى، بل تنمو نموّاً طبيعيًا إليها، بعد درجةٍ من النضج والتقدّم تجعلها حاجةً إنسانيّةً عامةً يمْكن تحقيقُها سلميًا ومدنيًا.

لا يضع اليسارُ، في هذا الفهم الذي نطرحه هنا، مهامَّ التاريخ على عاتق طبقةٍ واحدة. ولا يربط الحقيقة بحزبٍ أو نخبةٍ أو كيانٍ اجتماعيّ أو هويّةٍ سياسيّة. ولا يتأدلج ويشقّ العالمَ إلى فسطاطين، أحدُهما خيرٌ مطلق، والآخرُ شرٌّ كامل. ولا يدعو إلى القضاء على أحد، أدولةً كان أمْ طبقة أمْ فكرة. ولا يؤمن بحصريّة امتلاكه للحقيقة، بل يعتقد أنّ الجديد سينبثق ممّا هو قائم، وأنّ هذا لن يصير قديمًا إلاّ حين يفقد قدرته على صنع التقدّم أو يعمل على احتجازه. ولا ينبذ اليسارُ المواطنةَ وحقوقَ الإنسان أو يحطّ من قيمتها، بل يرهن كلَّ شيء بتحقيقها، لإيمانه أنها مفتاحُ أيّ تقدّم بشريّ، أسياسيًا كان أم اجتماعيًا أم اقتصاديًا أم ثقافيًا. وهو يراهن على الإنسان/الفرد المتعيِّن بحريّته، التي تهب وجودَه معناه، وتمكّنه من صيانته وتحسينِ شروطه والدفاع عنه. ولا يقلّل اليسارُ من أهميّة الدولة والقانون والمجتمع المدنيّ وسيادةِ الشعب. وهو يعتبر الديموقراطيّة أولويّةً لا يتنازل عنها، ويربط تحققها - بين أشياء أخرى - بالعلمانيّة، التي تسمو بالإلهيّ عن الدنيويّ، فلا تصنّمه ولا تشخصنه.

ولا يتنازل اليسارُ أيضًا عن حقّ البشر في العدالة الاجتماعيّة والمساواة، وتحرير العمل من الاستغلال، عبر تعزيز الحريّات والتضامن الإنسانيّ وإقامة دولةٍ تكون لكلّ مواطنيها. وسيعتبر اليسارُ الجديدُ نفسَه ناقصًا ويحتاج إلى تحسين دائم، وسيؤْمن أنّ رأيه صوابٌ يَحتمل الباطلَ، وأنّ رأيَ غيره باطلٌ يحتمل الصواب، كما قال مولانا الشافعي.

أخيرًا، لن يتخلّى اليسار عن دوره في حماية البيئة، وصيانة الثروات الطبيعيّة، وحفظ تراث البشر الحضاريّ بمشاربه المتنوّعة. ولن يدير ظهرَه للعناية بصحّة هؤلاء، وسكنهم، ومدارسهم، وجامعاتهم، وبنظافة قراه ومدنهم. وسيناضل من أجل إيصال الثقافة والمعرفة إليهم، وفتح قنوات التواصل الحرّ بينهم، لأنهم مختلفون في الرأي والمكانة الاجتماعيّة والدور. وسيعطي أولويّة لما في حياتهم اليوميّة من مشكلاتٍ لطالما رفضها اليسارُ القديمُ بحجّة أنها تقود إلى سياساتٍ مطلبيّةٍ غير ثوريّة. سيكون هدفَ اليسار الجديد تمدينُ البشر، وترقيةُ سياساتهم وعلاقاتهم، والامتناعُ عن وضعهم بعضهم في مواجهة بعض، أو دفعهم إلى ضروب من العداء تجعل اقتتالَهم واضطهادَ بعضهم بعضًا أمرًا حتميًا ومدمِّرًا.

كي يقوم هذا اليسارُ وينضج، من الضروريّ إعدادُ أنفسنا لقيامه، وذلك بالتخلّي عن عقليّة اليسار القديم التي تعشِّش فينا وتصيبنا بأمراضها.

دمشق

ميشال كيلو

كاتب من سوريا.